دمغة المدى

■ محمد خضير

من آب إلى آب، يتسع (المدى) لمزاد الثقافة العراقية المزوّد ببضاعات شتى، ونصوص مدموغة، يأتي نصفها من شارع المتنبي (شارع الكتب والمجاميع الأدبية)، والنصف الآخر من أقاصي الشوارع الداخلية والمهجرية. ولم يفتر سوق (المدى) يوماً، أو يُمنع مزاده، يردّه الغرباء والأصدقاء، فيلقون ترحيباً وقبولاً، ويُضافون ولا يُطردون. وقد صار هذا الخليط سمة (المدى) دون غيرها من الصحف، فكأن عكاظاً والمربد دمغتان غائرتان في أعماق التقليد الثقافي تتحكمان بصدور السوق وأطرافه، وكأن الذكرى تلعب مع النسيان في الولائم المقامة في صحن الدار وما حواليها. فإذا تعدّى الخليط حدود اللياقة وقوانين السوق، وجنحت مخيلته واشتد جنونها، اتسع سقف (المدى) وارتفعت أعمدته زيادة في حرية الفضاء، وانتشرت دمغاته (تاتواته) على الصدور والأطراف إمعاناً في الغرابة والشذوذ. ولعلّ أكثر هذه الدمغات جمالاً تلك التي تنقشها طبيعة الصيف اللاهبة في ضمير الأدب العراقي وجسده الخارج عن المألوف. ولعلّ أكثرها صرعاً وخفاء تلك التي تسم المجاميع الخارجة من جحيم المزاد إلى برودة الليل لاستلهام أسراره.

من نصفي جمهور المزاد تأتي النصوص والكتب المدموغة بدمغتها فترابط تحت أعمدة الشارع الداخلية، كما تأتي غيرها من النصف الثاني وقد دمغت بدمغة الطبيعة الصيفية. هذا هو آب العراقي يدمغ النصوص بدمغته الجماعية التي تترك المرء صريعاً على أبواب المزاد الثقافي والسياسي، أو يقذفها إلى أرجاء الطبيعة التي يطنّ فيها زنبور في يقطينة فارغة، ويتدلى عذق نخلة حتى موسم القطف والطواشن. يأتي كل نص بدمغته تمييزا له من نصوص الخليط، وخلف هذه الدمغة الفارقة تختفي المجهولات وتنصب الدلالات شباكها ويراود النص قارئه حتى يصرعه بدمغته.

لولا هذه الدمغة كيف لقارئ محليّ أن يستسيغ نصاً مهجرياً كقصص سميرة المانع؟ وتحت ضغط هذه الدمغة اللندنية (أو لمستها الشعرية البعيدة) استسلمنا طائعين لقصائد عواد ناصر وفاضل السلطاني وفوزي كريم وصلاح نيازي وعبد الكريم كاصد. ومثلها الدمغة الاسكندنافية التي قربت الجليد من النار في قصائد صلاح حسن. وهنا عندنا فتحت دمغة (كلواذا) مصاريع قصائد صادق الصائغ البغدادية، وجعلت الإقامة الضرورية لهذا الشاعر المتبرم بيننا تطول وتنبسط كطبيعة آب المسالمة. احتملنا مراجعات كاظم حبيب وسعد محمد رحيم وعلي الفواز المطولة بسبب تعرفنا دمغاتهم المستحصلة من تجربة المزاد اليساري الخاسرة. تعرفنا على هذه التجربة ونقدها في مقالة سهيل سامي نادر بعد انتخابات آذار التشريعية، وزودتنا المقالات الأخرى لهذا الكاتب بدمغته الظاهراتية التي حملت أوزار الآخرين على كتفيها.

كانت مقالاته إضافة مؤلمة لرثاء مهجريين ومهجريات طواهم الموت في الغربة أمثال كاظم السماوي وسعود الناصري ورحمن الجابري وتحرير السماوي وسهام السلطاني وزكية خليفة. حُذفت دمغة محمود صبري التركيبية وحلت مكانها دمغة خالد السلطاني التفكيكية. عمارتنا تبعث من جديد في ضوء هذه الدمغة المتأملة في صيف شارع الرشيد وبناياته. الهجرة تقلص مداها المعماري بهذه الدمغة الجمالية العائدة إلى موطنها. اتسع مزاد (المدى) لمقابلات وتحليلات سينمائية وتشكيلية ومسرحية وموسيقية، رُفعت جميعها على أعمدة حررها كتّاب مرموقون عرفناهم بدمغاتهم الأسلوبية: فوزي كريم وشاكر لعيبي ولطفية الدليمي ومحمد سعيد الصكار ونجم والي. شاركنا (أنا ومحمود عبد الوهاب) في مزاد هذه الدمغات، ولو قُيّض لي أن أصف دمغتي لقلتُ إنها من اختراع الطبيعة الباصورية، التي يعجبني وفاؤها من صيف لصيف. كان اسم دمغتي هذه (ثقب السرطان) ولطالما زودني هذا الثقب بأحلام عمرها مئة عام في مزاد السردية العراقية.

ولا أريد أن أتناسى دمغة صاحب المزاد الأصلية، فخري كريم. يتوارى الرجل في الظل حاملاً بيده اللوغو التي خطها صادق الصائغ لجريدة (المدى). وما عدا هذه الطغراء السياسية والثقافية ، فأنا أجهل أشياء كثيرة عنه.

لو دفعت لنفسي بدمغتي إلى مزاد (المدى) لأخترتُ سيناريو (عين السرطان) المنشور في عمود (خارج العاصمة) ، ولو شاركتُ بدمغة شخص غيري في رأسمال المزاد لسارعتُ باختيار قصيدة صادق الصائغ (أوجاع كلواذا) ، أكتفي بمطلعها إشارة إلى وجع المزاد الدلالي والبنائي :

"هل تغادرها بعد هذي
السنين؟
وكيف تغادرها،
دائناً أم مدين؟"

"المدى" لحظة سعيدة في صحافة العراق

من دون حماس شديد أو انفعال احتفالي بهذه المناسبة أقول إن المدى صارت بالنسبة لي بيتاً آخر، ألجأ إليه كل يوم تقريباً بشكل ملحّ. لا لكي اقرأ نفسي كما يفعل عادة كثيرٌ من المثقفين الذين يجدون في الصحافة مرآة يرون فيها أنفسهم وحدها. لست براءً من مشاهدة وردتي النرجسية أيضاً. عليّ الاعتراف. لكن عليّ أن أتذكر بأنني سعيد للغاية برؤية صحافة عراقية متطوّرة، تستلهم خبرة التجارب المحلية مضافاً إليها خبرة عربية عريقة يعرفها من عايش عن كثب الصحافة العربية في بيروت مثلاً. لن يخطئ أحد في فهم المقصود بذلك. الرصانة في مقابل الرطانة، الاحتراف في مواجهة مراهقة هواة الكتابة، الانشغال بقضايا البلد ضمن "مدى" عريض خلافا للانحناء عليه بضيق أفق، الانفتاح على العالم ثقافياً ومعرفياً بدلاً من البقاء في خصوصية محلية ذات مزاج عكر، تعدّد الأصوات والأجيال وتعايشها بديلاً عن الصوت الواحد الملّ، شاباً أو شائخاً.

أحيي كل من أعرف شخصياً، الأستاذ فخري كريم في الضوء وخليل الأسدي في الظل، ومن لا أعرف (صحفيي الرياضية)، المشرفين على الملاحق الثقافية: الأستاذ على حسين مثلاً ومن يقف معه، من يتحمل بريدي الإلكتروني برحابة صدر كل أسبوع منذ ما يقارب العامين الأستاذ علاء المفرجي، الجميل، الصبور المواظب، أحيي روح الشجاعة والمثابرة والتجديد لدى غادة العاملي التي تبرهن لنا من جديد أن تاريخ الربّات الأنتيكيات هو تاريخ البشرية، أحيي من أعماق قلبي شغيلة الأرشيف الفوتوغرافي الذين يصنعون المتعة التي هي مجد الصحافة.

■ شاكر لعيبي

تهنئة خالصة

تهنئة خالصة بالذكرى الثامنة لصدور (المدى) وصمودها الرائع طوال كل هذه السنوات العجاف مدى حيا يغري بالصبر والمواصلة وحتى الأمل بمستقبل أجمل للصحافة العراقية الحرة والمسؤولة في بناء الغد برغم قسوة الظروف وتحية خاصة لشهداء المدى شهداء الكلمة الأحرار.

■ حسين الهنداوي

المدى ومدياتها

يتأطّر مرور ثمانية أعوام على صدور جريدة "المدى " بخطاباتها السياسية والثقافية والاجتماعية ، بوعي مؤرق باستدعائها ما هو معرفي وتنويري واستذكاري ، للنهوض بالثقافة الوطنية نزوعاً إلى تأكيد الهوية الوطنية ضمن تعدد أنساقها المتعاضدة . من هذا الفهم انطلقت المدى ، جريدةً وملاحقَ ، بالتواصل مع قرّائها عبر المنجز الحديث ومنجز ثقافة الآخر ، في إطار ما يعرف بعملية التأثير والتأثر ، لا بعملية الهجانة والاستحواذ ، وكانت صوتاً أصيلا للذاكرة العراقية متمثلة في منجزها وأعلامها في السياسة والثقافة والإبداع ، إن ما تسعى إليه المدى وملاحقها (المديات) استذكار صفحات مهمة من تاريخ العراق ، تنويراً وإيقاظا للأجيال الشابة .

تحية إكبار ومحبة للمدى .

■ محمود عبد الوهاب

من الضفة الاخرى

في العلّيّة

أندرو موشن

ترجمة وتقديم: غريب اسكندر

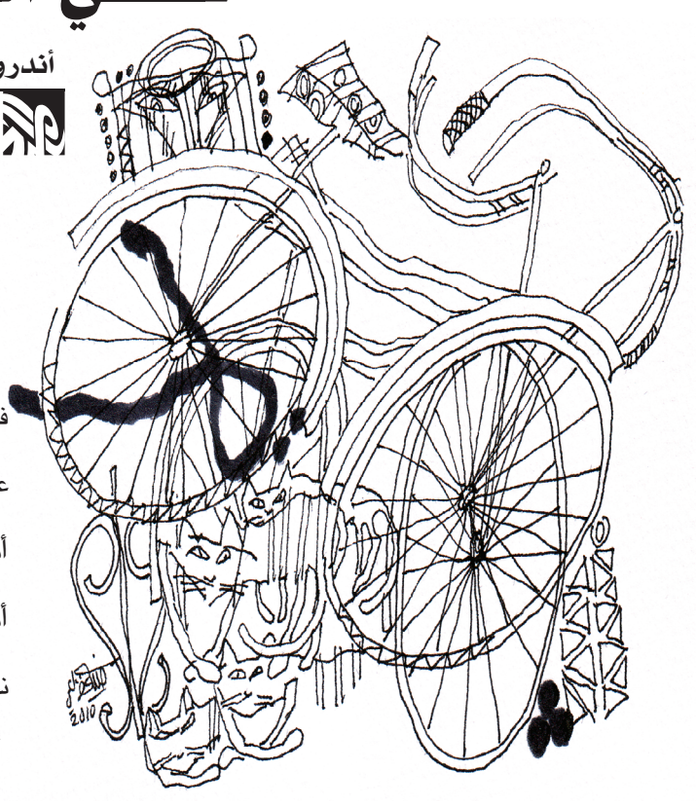

ولد الشاعر أندرو موشن Andrew Motion عام ١٩٥٢ بانكلترا. درس اللغة الانكليزية في جامعة أكسفورد لينال بعد ذلك درجة الماجستير في الأدب عن بحث قدمه عن الشاعر أدوارد توماس. ودرّس اللغة الإنكليزية في جامعة هول من عام ١٩٧٦ الى عام ١٩٨٠، وأصدر من عام ١٩٨٠ الى ١٩٨٢ مجلة الشعر، ومن ثم عمل في عام ١٩٨٩مديراً للتحرير ومحرراً للشعر في دار Chatto & Windus. ويعمل الشاعر الآن استاذاً للكتابة الابداعية في جامعة لندن. وقد مُنِح موشن لقب فارس لخدماته في مجال الأدب عام ٢٠٠٩. وتقلد منصب شاعر البلاط الملكي من ١٩٩٩ الى عام ٢٠٠٩ حيث استقال لتخلفه الشاعرة كارول آن دافي. وقد أصدر الشاعر مؤخراً كتابين عن دار فيبر بلندن هما: طرق الحياة :أمكنة ورسامون وشعراء (مجموعة مقالات) عام ٢٠٠٨، وممر الجمر (مجموعة شعرية) عام ٢٠١٠.

أحياناً أجثو هناك
ألمسُها
محاولاً أن أُحيي الزمن
الذي كنتَ ترتديها فيه
لأقبضُ على الشكل الحقيقي
للذراع والمعصم.

فتنزلق يداي في الأكمام المجوفة الخفية
تترددان، ثم تمسكانها لتضما:
عطلة خضراء؛ تعميداً أحمر
كلّ حيواتك التي لم تكتمل
تذوي في أصياف معتمة
وتدخل رأسي كغبار.

في العلّيّة
على رغم معرفتنا
أنك لن تحتاجَ اليها
أبداً
نحتفظُ بثيابكَ في صندق مغلق
أعلى الدار.

متابعات

في ندوة عقدتها دار الثقافة والنشر الكردية

إشكالية الهوية الوطنية

محمود النمر

في ضوء الجدل الدائر حول امكانية فك شفرات بنود الدستور التي تثير اللغط والتأويل في دوائر الاحوال الشخصية ،في وضوح بنود منح الجنسية العراقية للاقليات التي لاقت الاضطهاد في حكم الطاغية ،ومن ضمنها (الاكراد الفيليون) الذين اصابتهم الحصة الاكبر من الظلم والتغييب والتشريد والتسفير ،اقامت دار الثقافة والنشر الكردية ندوة بعنوان (اشكالية الهوية الوطنية) للكاتب رياض جاسم محمد فيلي وهو باحث متخصص بشؤون وحقوق الكرد الفيليين .

وفي بداية الجلسة رحب د. جمال العتابي مدير عام دار الثقافة والنشر الكردية قائلا :باسم دار الثقافة والنشر الكردية نرحب بجميع الضيوف وهذا شرف لنا بوجود عدد من المسؤولين في مجلس النواب ومن دوائر اعلامية كثيرة ،وهذا يدعونا على ان نكون اوفياء لتنفيذ وعودنا وبرامجنا التي قدمناها ،ويدعونا على تنفيذ هذه البرامج سيما وان دار الثقافة والنشر الكردية تسعى لتجد لها حيزا لجهود مضنية كبيرة ومكانا مرموقا في الوسط الثقافي يتناسب وامكاناتها وحجمها وتراثها وماضيها ،وهذا الموضوع المطروح اليوم هو واحد من اهم المواضيع الفكرية والثقافية التي ماتزال تثير الكثير من الاشكلات والتساؤلات ،وهناك الكثير من الجدل سوى ما يتعلق بالجانب القانوني او السياسي ،وللاسف ان هذه الاشكالية ماتزال لحد الان قائمة لم تجد لها الحلول في النواب او التشريع او السلطة التنفيذية ،وماتزال اثارها قائمة في المجتمع العراقي ،رغم انها اصابت الكثير من فئات المجتمع العراقي ،فضلا عن ذلك ان هذه الندوة لم تتعرض او تتصدى لموضوع تخص قومية او طائفة ،انما تتناول قضية بمضمونها الانساني الابعد كون هناك اقليات وقوميات عراقية تعاني الاضطهاد وماتزال سوى كان ذلك في التهجير او في الاقصاء او عدم الاخذ دورها في المجتمع ،ولذلك ان المحاضر سيلط الضوء على هذه المشكلة وهي دعوة وتوصيات من اجل هذه الازمة .

ثم قدم الكاتب والصحفي رياض جاسم محمد فيلي جانبا مهما من تاريخ اشكالية الهوية الوطنية واسقاط الهوية وتبعاتها المؤلمة ،واستعرض الجانب القانوني والدستوري لأبعاد اشكالية الهوية الوطنية منذ تأسيس الدولة العراقية ولغاية ٢٠٠٣/٤/٩وقال :

ان الجرائم المرتكبة بحق الكرد الفيليين قبل تاريخ ٢٠٠٣/٤/٩ في العراق ، وهي واضحة المعالم بالادلة الثبوتية التي لا لبس فيها من خلال الكم الهائل من التشريعات وخاصة قرارات (مجلس قيادة الثورة)المنحل الصادرة بحقهم ، والمنشورة في جريدة الوقائع العراقية التي تعد الجريدة الرسمية للدولة والمتمثلة ب(اسقاط حق الجنسية والمواطنة، الابعاد اللاقانونية ،والنفي وراء الحدود ،والاحتجاز المحظور ،والاختفاء القسري .والتعذيب الوحشي ، والتصفيات الجسدية ، والاعدامات الفورية وخارج سلطة القانون والقضاء ، الغاء سبل الطعن وممارسة حق الدفاع ، والمحاكم الصورية ، والمراقبة الامنية والاساليب التحقيقية غير الاصولية ، والمصادر التعسفية للاموال والعقارات دون اي تعويض ، وسلب الوثائق الرسمية ، والطرد المجحف من الوظيفة الحكومية لاسباب تمييزية دون ضمان تقاعدي واجتماعي ، وحملات التطهير العرقي ، وعمليات الابادة الجماعية ، والانتهاكات ضد السلم ، والترحيل الداخلي، والقتل العمد ، والتدمير التعسفي ، والمقابر الجماعية ،وممارسة التمييز العنصري وفصل الشباب عن عوائلهم ، وتطليق الزوجة الفيلية ،وغيرها من الانتهاكات اللانسانية الجسيمة والافعال الفظيعة والمشينة عن سبق اصرار وترصد ---الخ والتي تتعارض صراحة مع المواثيق الدولية التي تنص بانه (يولد جميع الناس احراراً ومتساويين في الكرامه والحريات ويتمتعون بحماية القانون والحق في الحياة والحرية والامان والتملك ومراجعة القضاء ودون التعرض للمعاملة المهينة الحاطة بالكرامة او التدخل في حرمة الحياة الخاصة ، وان الجنسية حق طبيعي للانسان لايجوز حرمانه منه) وبالتالي تشمل احكامها فروعا عديدة من القانون الدولي .

وفي كلمة للاستاذ فوزي الاتروشي وكيل وزير الثقافة اكد فيها على حقوق المواطنة التي يجب ان يتمتع بها كل مواطن دون ان يتعرض للاضطهاد وقال:نحن حين نبحث اشكالية الهوية وقانون الجنسية العراقي شئنا ام ابينا ندخل في صلب السياسة ،الجنسية بداية هي انتماء للوطن ،مقابل سلة واجبات وسلة وحقوق ،هذا هو التعريف السليم، الاستهلال الاول للجنسية،هو انك تنتمي الى بقعة ارض هي مسقط رأس ومنحدر او منشأ اجتماعي حسب طرق اكتساب الجنسية ،وليست انتماء لدولة ولا نظام ،ونقول انه في الفقه القانوني الدولي الحديث ،قانون الدولي العام وقانون الدولي الخاص ،عطل مفهوم الجنسية حتى هذا المفهوم الضيق ،الان اصبحت الجنسية وثيقة انتماء لمجموعة اوطان او مجموعة دول تتبنى مفهوم موحد انساني للجنسية .

وكانت هناك الكثير من المداخلات والاسئلة التي اثارت جملة من التشكيك في قانون الجنسية واكتسابها الذي كان سببا للكثير من المواطنين في الهجرة والتهجير القسري ،بل وماتزال هذه المشكلة قائمة ليومنا هذا .

قناديل

عرافة من صانعات الأقدار

■ لطفية الدليمي

مس بيل صانعة الملوك ومؤسسة الدول لم تكن غير مثقفة عضوية بددت أوهام المثقف الفنان الذي ينسحب إلى صومعة التخلي ويعيش عزلة النابذ المترفع على الواقع، فلا يشارك في صنع الأحداث أثناء الفترات القلقة التي تتزامن مع سقوط قوى سياسية وظهور قوى جديدة ورؤى مختلفة على مسرح الأحداث ليحقق اهداف السياسة..

كلما كنت أمر في منطقة الباب المعظم وسط بغداد، أتطلع إلى (مقبرة الإنكليز) في محلة الكرنتينة، حيث تصطف مئات الصلبان والشواهد على القبور، وتتراءى لي الخاتون المس بيل صانعة الملوك والدول-بملابسها الموسلين الرقيقة وقبعتها التي ينسدل منها نقاب التول وعقدها اللؤلؤي الذي كان علامة مميزة لأناقتها الارستقراطية المتحفظة- وأراها بهيئة عرافة من عرافات المصير وصانعات الأقدار اللائي شاركن في رسم خرائط العالم، تذكر شاهدة قبرها تاريخ ولادتها في١٨٦٨وتاريخ وفاتها في الثاني عشر من تموز ١٩٢٦، وعند هذا القبر وقف المندوب السامي البريطاني السير هنري دوبس وقال في ختام تأبينها (.. إن عظامها ترقد حيث أرادت لها أن ترقد في تربة العراق) و أراها تشير إلى ظلال الإمبراطورية المنحسرة عن الدولة الحديثة (مملكة العراق)التي نهضت على تراث عراقي ممتد الى ازل الدهور واسهمت هي في اعادة الاعتبار لتاريخ العراق وحضاراته التي سبقت حضارات الارض ، اعتبر توماس ادوارد لورنس والشهير ب (لورنس العرب) عملها هذا -من أكبر ما قدر لامرأة أن تنهض بأعبائه- إن دولة العراق تمثل صرحا رائعا، حتى ولو تواصل بقاؤه لبضع سنوات فقط..)..

كانت المس بيل شخصية أساسية في تقسيم الشرق الأوسط بعد سقوط الدولة العثمانية ، وهي امرأة استثنائية تثير الإعجاب والدهشة والغرابة ، لم تكن مثقفة سلبية منسحبة إلى برجها العالي أو تتعامل مع الواقع من مكانة مترفعة، بل كانت عالمة وشاعرة ومؤرخة وآثارية وناقدة ومكتشفة وعضوا بارزا في المخابرات البريطانية وكانت امرأة كرست خبراتها وحياتها لخدمة الإمبراطورية أثناء الحرب العالمية الأولى، وماتت من أجل أهدافها في تعزيز المستعمرات وتوسيع رقعتها وتنصيب حكامها، كانت المس بيل من أتباع المذهب الطبيعي الفيزيوقراطي وشعاره (دعه يمر، دعه يعمل) واشتهرت بأنها من هواة تسلق الجبال وبلوغ الذرا في كل عمل تؤديه، وكان دورها -ككل أدوار المستعمرين- بوجهين متناقضين في الآن ذاته، فهي عرابة الاحتلال الأول التي رسخت وجود بريطانيا في المنطقة، ومن جهة أخرى أسست دولة العراق الحديثةعلى ارض الحضارات العراقية ، وكشفت امتداد العراق الثقافي الى العصور الغابرة عن طريق ولعها بالآثار، فكانت تزور مواقع التنقيب وتشتري التحف واللقى من القرويين، وتجمع القطع الآثارية وأسست بجهدها الخلاق المتحف العراقي سنة ١٩٢٣ الذي سيستباح بوجود القوات الامريكية -يالمفارقة- في٢٠٠٣..

قراءة رسائل المس بيل وأوراقها الشخصية تكشف عن مستويات متراكبة من المعارف والمعلومات، وهي كمثل التنقيب في أطلال الحضارات واكتشاف الكنوز الخبيئة التي تعيد تشكيل المشهد السياسي لحقب خطيرة من تاريخ المنطقة، إنها لمتعة كبيرة أن يقرأ المرء رسائلها وهي الشغوفة برسم خرائط المستقبل، والبحث في كل ما يتعلق بالقبائل العربية، وتشكيل المؤسسات الحديثة.

تلقي رسائلها الأضواء على مرحلة هامة من تاريخ العراق الحديث والنزعات الاستعمارية ، وتكشف جوانب شخصيتها المغامرة التي تمتاز بقوة إرادة وإصرار وبصيرة نافذة جديرة بمثقفة مؤثرة في صناعة القرار وتغيير مسارات التاريخ، إلى جانب امتلاكها قدرة تكييف الأمور لتحقيق أهدافها، وما امتازت به من مرونة ومهارة في الحوار ساعدتها في إقناع أشد الرجال عنادا وكبرياء ليكونوا طوع أمرها.

بعيدا عن جهودها السياسية -وهي الحاكمة المطلقة في العراق -كانت تواصل العمل في تنظيم المتحف العراقي متخلية عن إجازتها السنوية ومؤثرة البقاء في قيظ بغداد من أجل فهرسة الآثار وتنظيمها رغم هشاشة صحتها و التهاب رئتيها وكانها كانت تحدس نهاية دورها في الحياة والسياسة معا، وكان آخر عمل تولته منصب مديرة الآثار بناء على رغبة الملك فيصل الأول الذي عرف ولعها الطاغي بالآثار وتوقها لإنجاز المتحف العراقي بالسرعة الممكنة، وتخليدا لجهودها الآثارية وعشقها لحضارات العراق القديمة، تأسست سنة ١٩٢٩المدرسة البريطانيةللآثار في العراق ليكشف روادها عن المزيد من أصول العراق الحضارية وسبقه في ابتكار مفردات الحضارة الإنسانية..